دورة عقائدية مُختصَرة تتحدَّث عن اهَم المطالب العقائدية التي يَجب على الشيعي و المؤمن ان يعتقد بها و ان يكون مُحيطا و عارِفا بِدقائقها و لو بِشَكل اجمالي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و الصلاة على رسول الله و آله آل الله , و اللعن على اعدائهم و اعداء شيعتهم اعداء الله إلى يوم لقاء الله .

تمَّ كلامنا في الليلة الماضية في مسألة المعرفة و تعريفها و ما جاء في روايات اهل بيت العصمة صلوات الله عليهم اجمعين بِخصوص هذا المعنى .

اليوم نتناول المسألة الثانية من مسائل التوحيد , إذ انّنا بحَثنا في المسألة الاولى : و هو ما يتعلّق بإثبات وجوده تعالى شأنُه و تقدس و عقَّبنا على ذلك بِبَعض التفريعات التي كان تمام الكلام فيها ليلة البارحة .

و نحن إن شاء الله في عرضنا لِهذه المسألة من خلال المطالب التي سنَتناولها سيَتّضحُ لك الأمرين إن شاء الله , ما يتعلّق بِمَعنى الوحدانية _ و ما يتعلّق بالادلّة التي يُستدَلّ بها على وحدانيته سبحانه و تعالى. بادئ ذي بدء نتناول معنى الوحدانية بِشَكل مختصر _ الآن ابتداءً حتى تكون المسألة مفهومة و إن شاء الله في الدروس الآتية نتناول مسألة الوحدانية من خلال روايات اهل البيت عليهم افضل الصلاة و السلام , لكن على الأقل أن تكون عندنا صورة موجزة عن معنى الوحدانية , بعد ذلك نشرع في الادلّة التي يُستدَل بها على هذا المطلب و المبحث .

ربّما من افضل النصوص الشريفة و إن كانت هناك عندنا نصوص كثيرة عن اهل بيت العصمة تتحدّث عن هذا المعنى لكنّي أُشير إلى نص من هذه النصوص الشريفة و أُعلّق عليه بعض الشيء و بعد ذلك أشرَع في الأدلة التي يورِدُها أهل الأدلة على مسألة وحدانية الباري , وردَ في رواياتنا الشريفة عن سيّد الاوصياء صلوات الله و سلامه عليه في كلامه , في خُطبته عن التوحيد و عن الوحدانية فَقال عليه السلام في جملة ما قالَ من كلامه صلوات الله و سلامه عليه , قال :

{ دَليلُه آياتُه , و وجودُه اثباتُه , و معرفَتُه تَوحيدُه , و تَوحيدُه تَمييزُه من خَلقه , و حُكم التمييز صفَةُ بينونة لا صفَةُ عُزلَة }

أقفُ بعض الشيء لأُبَيّن بعض المضامين في كلام سيّد الاوصياء في هذه العبارات الشريفة من كلامه عليه السلام حتى تتَّضح عندنا صورة موجزة عن معنى الوحدانية .

_ قال عليه السلام : دليله آياته _ دليله آياته _ المراد من هذه الفقرة على ما يظهر من العبارة الشريفة و على ما هو المعروف بين اهل العلم :

_ أنّ الدليل الذي يَدُلّ عليه هو آياتُه .

_ و الآيات جمع لآية .

_ و الآية تأتي بِمَعنى العلامة و تأتي بِمَعنى الحجّة .

_ دَليلُه آياتُه _ الآيات بِمَعنى العلامات _ أو بِمَعنى الحُجَج .

_ فإمّا يُراد من الآيات هنا بِنَحو عام : و المراد تمام مخلوقاته .

_ و إمّا يُراد من الآيات بِنَحو خاص : و المراد أنبياءُه و حُجَجُه _ باعتبار أنّ الله نصبَهُم أدلّة للعباد

_ (دَليلُه آياته) باعتبار أنّ الباري نصبَ الانبياء و نصبَ الحُجَج و نصبَ الاوصياء _ نصبَهُم

منارا _ علامة _ دليلا للعباد يُرشِدونهم إلى الباري سبحانه و تعالى و يَدلّون عليه بِدلالَتهم التي جعلَها الله فيهم سبحانه و تعالى .

_ فَدليلُه آياته _ إمّا المراد أنّ هذه الآيات _ هذه الآثار المحيطة بالإنسان _ هذه السماوات بأطباقها _ بِنجومها _ بأبراجها _ بِنظامها الدقيق المتكامل _ و هذه الارض بِعَجائبها _ بِبحارها _ و بِجبالها و بَرِّها _ بإنسانها و نَباتها و حيَوانها _ بأعاجيب ما أودَعَهُ الباري في الإنسان _ إن كان في جَنبته المادية , في بدَنه هذا و في القوى التي يملكُها في ظاهر البدَن _ أو في القوى الموجودة في داخل البدَن , القوى التي على اساسها و بِمَجموعها تتكامل مسيرة الحياة الإنسانية للإنسان في جسمه , في بدَنه , في روحه , او هذه القوى المعنوية المودَعة عند الإنسان , كل هذه العجائب المحيطة بالإنسان , كل هذه العلائم و الآيات و الظواهر الكونية التي يراها الإنسان اينما التفَت و اينما نظَر و اينما دارَ بِوَجهه و اينما ادارَ عينَيه يرى حولَه هذه الموجودات و هذه الكائنات التي هي كلمات الباري و التي هي آيات الباري .

_ فَدليلُه آياتُه _ إمّا المراد هذا المعنى _ و إمّا المراد آياتُه بالمعنى الاخَص :

_ أنّ دليل الباري الذي يَدُلّ عليه : الحُجَج التي نصَبَها الباري سبحانه و تعالى لِعباده و خَلقه .

قبل أن انتقل إلى الفقرة الثانية من فقرات الكلام الذي انتخَبناه من كلام سيّد الاوصياء صلوات الله و سلامه عليه : مسألة الدليل التي يتعلّق بها الإنسان _ مسألة الدليل الذي يرتبط به الإنسان _ لماذا يتعلّق الإنسان بالدليل و لماذا يرتبط الإنسان بالدليل ؟

_ إنّما يتعلّق الإنسان بالدليل و يرتبط به للحاجة إليه , الإنسان مُحتاج للدليل , فَحاجةُ الإنسان للدليل هذه إذا ارَدنا ان ننظر إليها من جهة عميقة في التقييم , حاجة الإنسان للدليل :

_ تارةً تكون نَقصا .

_ و تارةً تكون كمالا .

أمّا كون حاجة الإنسان للدليل نقصاً , فلأيّ شيء _ لأي شيء ؟ حينما يحتاج الإنسان للدليل و هذه مسألة واقعية _ الآن مثلاً : حينما تأتي القافلة و القافلة بِحاجة إلى دليل , لو ماتَ الدليل حينئذ القافلة تَتيه و هذا من عجز القافلة و من نَقصها _ الإنسان حينما يعرف الطريق بِنَفسه و لا يحتاج إلى دليل _ أليس هو هذا المُتَكامل .

_ مَن الأكمل , العالِم أم الجاهل ؟

_ العالِم أكمل من الجاهل _ لماذا ؟

_ لأنّ العالِم لا يحتاج إلى دليل _ هو دليل بِنَفسه .

_ أمّا الجاهل يكون انقَص : لأنّه بِحاجة إلى دليل _ فَحاجةُ الإنسان إلى الدليل نَقص في الإنسان , هذا المعنى واضح , نَقص في ذات الإنسان , هذا من جهة .

_ و من جهة ثانية : أيُ دليل يستعملُه الإنسان ؟

_ الأدلة التي يَستعملها و يستَدلُّ بها على الباري هي من صُنع الباري .

_ بأيّ شيء يستَدل الإنسان ؟ _ بِعَقله _ هو هذا العقل من صُنع الباري .

_ بالآيات الموجودة _ هي هذه الآيات من صنع الباري .

كل دليل يستَدلُّ به الإنسان هو من صُنع الباري و ليس من صُنع الإنسان و ليس من صُنع شيء آخر , فَحينما يَستدلُّ الإنسان : بالمصنوع على الصانع _ هو هذا دليل نقص الإنسان .

_ كيف يرى المصنوع و لا يرى الصانِع مع انّ المصنوع يكون اقَل رتبة من الصانِع ؟

_ بِعبارة أخرى أنّ الإنسان يستَدلُّ بالظُلمَة على النور _ نورية الباري نورية طاغية على كل شيء _ و الإنسان لا يرى هذه النورية فيَحتاج إلى أدلّة ظلمانية .

_ و هل يستَدلُّ الإنسان بالظلام على النور ؟ هل يمكن الإستدلال بالظلام على النور ؟ و إذا استُدِلَّ بالظلام على النور فإنّما هذا من نقص الإنسان .

ربّما قد يُقال : إنّما تُستَبان الأشياء من معرفة اضدادها _ تُستَبان الأشياء بأضدادها _ لكن هو الإستدلال بِهذا الطريق _ تُستَبان الأشياء بأضدادها _ هذا دليل نقص الإنسان , فَحاجة الإنسان من هذه الجهة للدليل تُشير إلى نقص الإنسان _ و لذا نحن قُلنا في ليلة البارحة و الدروس الماضية أنّ الإنسان حينما تكون معرفَتُه مُستَندة للقلب _ هذه المعرفة اكمَل _ و لا يعني أنّ معرفة الإنسان المُستَندة إلى الشهود القلبي _ لا يعني أنّ هذه المعرفة لم تكُن تُمَثِّل جهة النقص في الإنسان , ايضا من لِحاظ تُمَثِّل جهة النقص لكن هذه بالقياس إلى المعرفة المُستَندة إلى الادلّة و البراهين قطعا اكمَل , فَمُرادي من القول : أنّ حاجة الإنسان للدليل تُمَثِّل جهة نقص في الإنسان , من هذا اللحاظ .

و تُمَثِّل جهة كمال في الإنسان من لِحاظ ثانٍ _ من أي لِحاظ ؟ من لِحاظ إذا لم نكُن ننظر إلى قُبح قصور الإنسان _ باعتبار الإنسان لِمَ يحتاج إلى الدليل ؟

_ الإنسان يحتاج إلى الدليل : لأنّه قاصِر عن الإدراك _ عندَه قصور و هذا القصور يَمنعُه من الوصول إلى الغاية بِدون دليل _ فإذا غضَضنا النظر عن قُبح قصور الإنسان نَجد انّه من كمال الإنسان ان يبحث عن الدليل و لذا الإنسان الذي يتوَجّه إلى شيء من دون دليل او يَحكم على شيء لِصالح شيء او ضد شيء بِدون دليل يُعَدّ معيبا في نظر الإنسانية بِشَكل عام _ في نظر اهل العقل _ فَحاجة الإنسان إلى الدليل . من جهةٍ . يكون كمالا للإنسان إذا غضَضنا النظر عن قُبح قصور الإنسان و نظَرنا إلى الإنسان بما هو إنسان بِحدود مقامه , بِحدود قابلياته , أمّا إذا ارَدنا ان ننظر إلى الشيء الذي يستَدلُّ عليه الإنسان و هو الله , حينئذ يكون الدليل و الإستدلال قبيحا , كيف يَستدلُّ عليه حينئذ بِدَليل ؟ { متى غِبتَ حتى تحتاج إلى دليل يَدُلّ عليك } _ حينئذ كيف يحتاج إلى دليل ؟

إذا نظَرنا إلى نورية الباري , إلى حضور الباري , إلى شهود الباري على كل شيء , حينئذ يكون الحاجة إلى الدليل , يكون نقصا على الإنسان و نقصا في الإنسان , على أي حال لا نريد ان نتشَعّب كثيرا في هذا المطلب لكن ذكرتُ هذه النكتة لأجل الفائدة العلمية التي ترتبط بِحَديثنا .

فَقال عليه السلام : (دَليلُه آياتُه , و وجودُه إثباتُه) و وجوده اثباتُه _ إمّا مقصود الأمير عليه السلام يقول : أنّه يَدُل بِوجوده على وجوده _ يعني دالٌّ على ذاته بِذاته , وجوده هو الذي يُثبِت وجوده (و وجوده اثباتُه) دليلُه آياتُه و وجوده اثباتُه , إمّا المراد هذا المعنى : دالٌّ على ذاته بِذاته _ وجوده دالٌ على وجوده , ذاتُه دالّة على ذاته سبحانه و تعالى , إمّا مراد هذا المعنى

_ و إمّا يُراد معنى آخر كما ذهبَ إلى ذلك بعض العُلَماء : (و وجودُه إثباتُه) أنّ المراد من الوجود هنا لا معنى التحَقُّق ؛ الوجود له معنَيان _ كلمة (وجود) لها معنَيان :

_ لأنّ الفعل أصله : (وجَدَ) وجدَ وجوداً _ و وجدَ وجدانا _ و وجود و وجدان بِمَعنى واحد _ وجدَ وجوداً _ و وجدَ وجدانا يعني : أدرك ادراكاً _ فيَكون المعنى على هذا الاساس , قلت قبل قليل : (و وجوده اثباتُه) يعني دالٌ بِذاته على ذاته _ أمّا وفقا لِهذا البيان الذي بيَّنتُه : (و وجوده اثباتُه) يعني : أنّ ما يُدرِكه الوجدان _ ما تُدرِكه الفطرة هو هذا دليلُه سبحانه و تعالى .

_ يعني : أنّ الباري فطرَ العباد على توحيده _ يعني أيها الإنسان _ يا مَن تبحثُ عن الادلّة فَدليلُه آياتُه _ و أنت أيها الإنسان آيةٌ من آياته , فالدليل فيك و عندك (و وجوده اثباتُه) فأنتَ ايّها الإنسان ألا ترى في وجدانك , ألا ترى في فطرَتك هذا المعنى ؟ ألا ترى هذا المعنى في فطرَتك : أن البعرة تَدُلّ على البعير كما تقول هذه الاعرابية _ و إن كان هذا الحديث منقول عن أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه في كتُبنا لكن في كتُب العامة يَنسبون هذا الحديث إلى امرأة أعرابية _ أن البعرة تَدُل على البعير , و آثار اقدام السَير تَدُلّ على المسير , اَفَأرضٌ ذاتُ فِجاج و سماء ذاتُ أبراج ألا تَدُلّ على اللطيف الخبير _ هذه البعرة لو وُجِدَتْ في الارض و لذلك يُنقَل في زمن العباسيين , احَد الزنادقة _ أحد الزنادقة طلبَ المُحاجَجة مع احد أصحاب الأئمة عليهم السلام , فَطلبَ منه المُحاجَجة و اتّفَقا على دار احد الوُجَهاء الكبار في مدينة بغداد و كان الإتفاق ان يذهب هذا الرَجُل الصحابي من اصحاب الائمة إلى تلكُم الدار و اتَّفَقوا على موعد _ لِنَفرض في الساعة العاشرة صباحا يأتيهم _ الناس اجتمَعوا في دار ذلك التاجر الوجيه و هذا الزنديق ايضا موجود كان و ينتظرون هذا المُتكَلِّم الإمامي يأتي , جاءت الساعة العاشرة , جاء الموعد و لم يأتِ , تأخَّر مدة من الزمن فَماذا كان يعتقد الناس ؟ انّه خوفا من ان يُفلَج , ان يَغلبَهُ هذا الزنديق , أن تقوم حُجّة الزنديق عليه , ان يَغلبَهُ في النقاش و الجدال تأخَّر , على أي حال بالنتيجة دخلَ إلى المجلس , جاء مُتأخّرا عن الموعد فَسألَهُ هذا الزنديق لماذا تأخَرت ؟ ما هو سببُ تأخيرك ؟

قال : لَمّا جئتُ _ كان هو في الجانب الثاني من النهر – لَمّا أردت أن اعبُر رأيتُ شيئا عجيبا و الناس اجتمعَتْ فنَسيتُ مجلس المُحاجَجة و المُجادَلة , كانت شجَرة على جانب النهر , فجأة هذه الشجرة اقتُلِعَتْ من الارض لِوَحدها , فجأة تقطَّعَتْ إلى اخشاب , فجأة هذه الاخشاب نُجِرَتْ و نُشِرَتْ فتَكوَّنَتْ على شكل زورق ثم جاء القير فقُيِّر هذا الزورق , بعد ذلك , هذا الزورق دخلَ إلى النهر لِوَحده و اخذَ يُعَبِّر الناس من جهة اليمين إلى جهة الشمال و هكذا من دون احَد , من دون

ان يقودَهُ احَد . هذا الزنديق قال : هذا كلام مجانين , انا لا اتكلَّم مع مجنون , قال : إذا كان هذا كلام مجانين في زورق , شجرَة تتقطَّع إلى اخشاب و تتحوَّل إلى زورق كلام مجانين , فَكلامُك انت ما هو ؟ انت تكون اجَنّ منّي حينئذ حينما تقول هذه السماوات و هذه الارض و هذه الكائنات هكذا وُجِدَتْ من دون خالق .

فَهذه المسألة مسألة فطرية مودَعة في باطن الإنسان و لذلك حتى اولئك الذين ادَّعوا الالوهية , حتى اولئك الذين الحَدوا , حتى اولئك الذين كفَروا , يقولون : كما يذكرون في مذكّراتهم , ستالين في اللحَظات الأخيرة _ و ما عُرِفَ في تاريخ الشيوعية في الزمن المعاصِر اشَد كُفرا و إلحادا من ستالين _ يقولون : في اللحظات الأخيرة من حياته ما كان يتمكّن ان يتكلّم لكن هكذا يشير بِيَده , مَن كان قريبا منه _ من كان قريبا منه يفهَمون مراده , يقولون : أنّه هكذا يشير إلى الإله الواحد , هكذا يشير بِيَده , ما كان يتمكن ان يتكلَّم , و مثل هذه الظاهرة موجودة بِكَثرة في تاريخ أولئك الذين حاوَلوا ان يُنكِروا الفطرة المودَعة في باطن الإنسان , هذه قضية واضحة و معروفة .

على أي حال : فَمُراد الأمير صلوات الله و سلامه عليه وفقا للمعنى الثاني (و وجودُه اثباتُه) يعني : يا ابنَ آدم , أن الدليل مودَع فيك _ أنت آية من آياته و في باطنك الوجدان , و الوجدان هو الضمير , كما يقولون : هو صوت الله في اعماق الإنسان _ هذا المعنى أنت تَحسُّه _ هذا المعنى أنت تستَشعرُه في مضامين نفسك , في باطن خلَجاتك النفسية .

فَقال عليه السلام : (دَليلُه آياتُه , و وجودُه إثباتُه , و مَعرفتُه توحيده) مرادُه : أنّ الذي لا يوَحّد الباري _ لا يعرف الباري _ و هذه مسألة واضحة لا اعتقد انّها بِحاجة إلى شرح _ الذي لا يوَحّد الباري و لا يعتقد بِوَحدانيته و يعتقد أنّ له شريك , أنّ له مُماثِل , أنّ له ندّ , أنّ له مُضادّ جلَّت قدرتُه و تعالى شأنه _ هذا لا يعرف الباري و لذلك الإمام يقول : (و معرفتُه توحيده) أنّ الذي يعرفه هو الذي يوَحِّدُه , و معرفته توحيده , ثم ماذا قال ؟ _ مرادنا هنا نريد ان نَصل إلى معنى الوحدانية بِهذا الشكل الموجز _ قال : (و تَوحيدُه تَمييزُه من خَلقِه) فوَحدانيتُه هي هذه : التوحيد و الوحدانية و المسألة التي نريد ان نتحدّث عنها هي هذه (و تَوحيدُه تَمييزُه من خَلقه) تمييزُه من خَلقه .

_ التمييز يعني : التصنيف _ الفصل .

_ تَمييزُه من خَلقه _ ما المراد ؟ يعني أنّه يُمَيَّز عن خَلقه بِكُل تمييز مطلَقاً (و تَوحيدُه تَمييزُه من خَلقه) أنّه مُميَّز عن خلقه بِذاته , بِصفاته , بأفعاله سبحانه و تعالى , لا يُشابِه احَدا من خلقه , من هذا الخَلق الذي حولَنا و الذي نراهُ و نعيش في اوساطه (و تَوحيدُه تَمييزُه من خَلقه) انّه مُميَّز , انّه لا يُشابِه الخلق لا في ذات و لا في صفَة و لا في فعل (و تَوحيدُه تَمييزُه من خَلقه) .

ثم يقول ماذا سيّد الاوصياء : (و حُكم التمييز بَينونة صفَة لا بَينونَةُ عُزلَة) أمّا يا ترى هذا التمييز الذي هو حقيقة الوحدانية كيف يكون هذا التمييز ؟ يقول : (و حُكم التمييز) هذا التمييز الذي نريد ان نُمَيِّز به الباري عن الخلق ما هو حُكمه ؟ ما هو حقيقة هذا التمييز ؟ قال : (و حُكم التمييز بَينونة صفَة لا بَينونَةُ عُزلَة)

_ البينونَة واضح : الفارِق _ مأخوذة من : بَين و بَين _ البينونة _ كلمة (بينونة) هذا المصدر , مأخوذة من كلمة (بَين و بَين) يعني : بينه و بينه _ المصدر _ يُجعَل هذا المصدر يُقال له البينونة , مصدر مُشتَق من كلمة : (بين و بين) يُقال له بينونة , يقول : (و حُكم التمييز بَينونة صفَة لا بَينونَةُ عُزلَة) ما المراد من بَينونة الصفة ؟ ما المراد من بَينونة العُزلَة ؟ الآن أُبَيِّن لك المعنى : أن الذي يريد ان يوَحِّد الباري لا بد ان يُمَيِّزَهُ عن خَلقه لكن يكون التمييز لا على اساس بَينونة العزلة و إنّما على اساس بَينونة الصفة _ يعني أن الباري لا يكون مُمَيَّز عن خلقه تمييز العُزلة و إنّما مُمَيّز عن خلقه تمييز الصفَة _ ما المراد من بَينونة الصفَة _ تَمييز الصفَة _ بَينونة العُزلَة و تَمييز العُزلَة ؟ ما المراد من هذه المعاني ؟

المراد من تمييز العُزلَة _ من بَينونة العُزلَة هكذا : الآن هذه المخلوقات الموجودة _ أنا _ أنت _ الجدار و الشجرة و سائر الاشياء الموجودة الاخرى _ هذه المخلوقات :

_ هذه المخلوقات تتَباين _ يعني تختلف فيما بينها اختلافا ذاتيا كاملا _ يعني أنت تختلف عن الجدار اختلاف ذاتي , بالذات , ذاتا , ذاتُك مختلفة عن ذات الشجرة و هكذا عن الجدار و هكذا عن غيرك من المخلوقات _ هذه المخلوقات الموجودة تتَبايَن البعض عن البعض الآخر تَبايُن كامل معزول , يعني انت في ذاتك معزول عن ذات الشجرَة , و ذاتُ الشجرَة , لا اقصد العُزلة هنا مسألة العُزلة الجسمية : لا _ العُزلة الحقيقية : يعني العُزلة في ذات الموجود _ العُزلة في حقيقة الموجود , هذه الموجودات معزولة , البعض عن الآخر معزول , معزولة في ذواتها _ فالباري يتميَّز

عن المخلوقات لا هكذا _ المخلوقات تتَمايز فيما بينها هكذا , لماذا ؟ لأنّ المخلوقات ليس بعضُها علّة لِوجود البعض الآخر _ ليس بعضها علة لوجود البعض الآخر .

_ نعم هناك عِلَل , هناك عِلَل مجازية _ لَمّا أقول : لاحِظوا , لَمّا اقول هذه الموجودات ليس بعضُها علّة للبعض الآخر , انا لا أُنكِر أنّ النار تكون علّة للغلَيان _ و لا أُنكِر أنّ الثلج تكون علّة للبرودة , ليس مرادي هذا , لا أُنكِر هذه العِلَل _ لكن وجود البرودة و وجود الحرارة و وجود الغلَيان _ وجود الغلَيان ليس من النار , الله هو الذي اوجَد _ الله هو الذي أوجد الغليان ليس النار هي التي اوجدَتْ الغلَيان , النار غاية ما كانت و فعلَتْ , غاية ما فعلَتْ انّه حينما اقتربَتْ من الماء , هذه العلاقة الموجودة , علاقة بين النار و الماء أنّ الغلَيان ظهرَ في الماء , أمّا نفس قابلية الغلَيان في الماء ليس النار هي التي اوجدَتْ هذا الامر , يعني الله هو الذي جعلَ الماء إذا ما وُضِعَ على النار يغلي , الله هو الذي جعلَ اصل القضية في الماء , ليس النار , يعني ليس النار _ كان الماء مثلا اصلا غير قابِل للغلَيان و النار جاءت فخَلقَتْ الغلَيان في الماء , فَهذه العِلَل الموجودة هذه عِلَل مجازية _ العلّة الأصلية الباري سبحانه و تعالى , و هكذا سائر العِلَل الاخرى .

يعني الآن لَمّا اقول : حرَّكتُ يَدي فتَحرَّك المفتاح , ليست يَدي هي التي خلقَتْ قابلية الحركة في المفتاح , يدي فقط حرَّكَتْ المفتاح و أمّا الباري هو الذي اعطى يدي القابلية على الحركة و هو الذي جعلَ في المفتاح , طبيعة هذا الحديد , المادة الحديدية و التي صُنِعَتْ بِهذا الشكل , جعلَ فيها القابلية على الحركة , فَيَدي مجرّد انّها اظهرَتْ قابلية الحركة في المفتاح , لم تَكُن هي التي اوجدَتْ الحركة في المفتاح , فَهذه عِلَل مجازية , هذه العِلَل الموجودة في الحياة عِلَل مجازية , ليس النار هو الذي خلقَ قابلية الغلَيان في الماء , النار مجرد اظهرَتْ الغلَيان في الماء بِمجرّد المُماسّة _ و إلاّ الذي له قابلية الإيجاد لا يحتاج إلى المُماسّة _ لو كانت النار لها قدرة على الإيجاد _ الذي له قدرة على الإيجاد لا يحتاج إلى المُماسّة _ و لذلك الباري سبحانه و تعالى حينما يوجِد الاشياء لا عن طريق المُماسّة , لا عن طريق المُلامسَة { إنّما أمرُهُ إذا أراد شيئا أن يقولَ له كُنْ فيَكون } و حتى ان يقول له كُن فيَكون ليس المقصود أنّ الباري يقول له (كُنْ) _ و إنّما كُن ليست بِصَوتٍ مَقروع و لا بِنداءٍ مَسموع كما يقول سيّد الاوصياء _ هذه كلمة (كُن)

المذكورة في هذه الآية لا هي بِصَوت مقروع و لا هي بِنداء مَسموع _ و إنّما (كُن) تُمَثِّل معنى الإرادة الإلهية (كُن) تُمَثِّل معنى ... إلى هنا ينتهي الوجه الاول من الكاسيت) .

.. بين الكاف و النون _ يعني بين الكاف و النون قبل ان تكتمل كلمة كُنْ { إنّما أمرُهُ بين الكاف و النون } على أي حال فَهذه العِلَل الموجودة _ هذه العلل الموجودة عِلَل مجازية و إن كان واقعا نحن بِحاجة إلى بحث أن نعرف العِلَل و مراتب العِلَل , إن شاء الله ربما نأتي على هذا المطلب و إن كان هذا المطلب من المطالب الموَسَّعة في كتُب الفلسفة _ لأنّه أصل المبادئ الفلسفية هو قانون العلّية _ يعني الآن الفلسفة الإلهية الموجودة عندنا إذا ارَدنا ان نُزيل منها قانون العلّية نُهَدِّم الفلسفة كلّها , إذا ارَدنا ان نُزيل قانون العلّية من الفلسفة و من الفكر الفلسفي , نُهَدِّم الفلسفة , يعني لا يبقى فيها بناء و اساس اكيد و رصين , البناء و الثَبات الاكيد و الاساس الرصين في الفلسفة هي قانون العلّية , على أي حال و مسألة معرفة العِلَل ربّما لها مدخلية في مسألة وحدانية الباري و إثبات وحدانية الباري سبحانه و تعالى .

فَقلتُ انّه كما قال سيّد الاوصياء : { و حُكم التمييز بَينونة صفَة لا بَينونَةُ عُزلَة } بينونة عُزلة كما بيَّنت , هذه المخلوقات احَدُها معزول عن الآخر , مفصول عن الآخر , ذاتا , لماذا ؟ لأنّه ليس بعضها علّة لإيجاد البعض الآخر و لذلك هي معزولة , كلٌ معزول على حِدَة , فتَمييز الباري عن خَلقه لا على هذا الاساس انّه معزول كما تُعزَل هذه الماهية عن هذه الماهية و إنّما (بَينونة صفَة) الباري صفَتُه صفَة الخالقية , و المخلوقات صفَة المخلوقية , بينونة الصفَة هي هذه , علاقة بين الاثَر و المؤثِّر , علاقة بين التابع و المَتبوع , علاقة بين الاصل و الفرع , علاقة بين الوجود الحقيقي و الوجود الظلّي , و ربّما افضل التعبيرات في هذا الباب هي هذه العبارة : أنّ الباري سبحانه و تعالى _ من أفضل عبارات الفلاسفة في هذا المضمار هي هذه العبارة , أنّ الباري سبحانه و تعالى هو الوجود الحقيقي و نحن نُمثّل الوجود الظلّي _ و هذه الكائنات وجودُها وجود ظلّي _ وجود ظلّي و أمّا الوجود الحقيقي , و المعنى واضح , يعني الآن : إذا تصوَّرنا الأصل أنت و الظل , ما قيمة هذا الظل لِصاحب الظل _ ما قيمة هذا الظل لصاحب الظل _ يعني الآن لو يأتي انسان مثلا _ يأتي إنسان و يَدوس على هذا الظل , يُعتبَر الدَوس على هذا الظل دَوساً على رأس الإنسان الواقف ؟ لا قيمة لِهذا الظل , هذا الظل لا قيمة له , فَوجودنا نحن , وجود هذه الكائنات بالقياس

إلى وجود الباري , نحن كالظل , وجود ظلّي , موجودات ظلّية _ موجودات ظلّيه , يعني يمكن أنّ الباري يَعدمها في أي وقت شاء , في أي آنٍ شاء , يمكن ان يوجِدها , شاء ان توجَد فَوُجِدنا و إذا شاء ان يَعدمنا , يعدمنا _ وجود ظلّي ليس هو قائم بِنَفسه _ قائم بِفَيض الباري سبحانه و تعالى _ أمّا وجود الباري , هو الوجود الحقيقي الذي هو قائم بِنَفسه و قامَ بِفَيضه كل شيء , و قلتُ ادَق العبارات التي استعملَها الفلاسفة في هذا الباب هي هذه العبارة , عبارة أنّ وجود الباري وجود حقيقي و وجودنا وجود ظلّي _ فَبينونة صفَة انّنا نُمَيِّز الباري عن المخلوقات هكذا _ نُمَيِّز الباري عن المخلوقات انّه هو الخالق و هذه هي المخلوقات و هذه المعاني واضحة في ادعية الائمة صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين { إلهي أنت المولى و انا العبد , إلهي انت الغنيُ و انا الفقير , إلهي انت الكبير و انا الحقير , إلهي انت العظيم و انا الصغير , إلهي انت الحيُ و انا الميّت , انت العالِم و انا الجاهل , انت الرَبّ و انا المربوب , انت المعبود و انا العبد } هذه المعاني الواردة في المناجاة المروية عن أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه _ و التي يُستحَبّ قراءتُها في مسجد الكوفة _ موجودة في المفاتيح الشريفة , او في مناجاة الإمام السجّاد صلوات الله و سلامه عليه و في جملة من الادعية التي وردَ فيها هذا المعنى { هل يرجع العبدُ الآبِقُ إلاّ إلى مولاه _ العبد الآبِق بِكُل نقائصه إلى مَن يرجع ؟ إلهي هل يرجع العبدُ الآبِقُ إلاّ إلى مولاه } المرجِعُ إليه (و حُكم التمييز صفَةُ بَينونة لا صفَةُ عُزلَة) فالمراد من معنى الوحدانية هذا المعنى الموجز .

أنا قلتُ : إن شاء الله في الدروس الآتية ربّما اتناول بعضا من الروايات الشريفة التي وردَتْ عن الائمة في هذا المضمون :

_ في معنى الوحدانية .

_ و في معنى توحيد الباري .

لكن هذه الصورة الموجزة المختصرة الآن بيَّنتُها لكُم حتى تكون عندكم بالنتيجة صورة واضحة معلومة قبل الدخول في مسألة الادلّة على وحدانية الباري سبحانه و تعالى , فالآن اصبحَ عندنا هذه الصورة الموجزة عن معنى الوحدانية : (و تَوحيده تَمييزُه من خَلقه , و حُكم التمييز بَينونةُ صفَة لا بَينونة عُزلَة) و بيَّنتُ المراد من العُزلة و من الصفَة كما قدَّمتُ لك ذلك قبل قليل .

بعد ان اتّضحَ هذا المعنى الموجز عن معنى الوحدانية التي نريد ان نبحثها في دروسنا العقائدية هذه , نشرَع الان في مسألة الادلّة التي اقامَها اهل الادلّة و البراهين على مسألة وحدانية الباري سبحانه و تعالى .

_ نشرَع أولاً في أدلة الكلاميين .

و أُحاول أن أُبَيّنها لكم بالشكل الذي تُفهَم باليُسرِ و السهولة , الكلاميون استدَلّوا على هذه المسألة بِعدّة ادلّة لكن من اقوى ادلَّتهم دليل معروف بِـ (دَليل التَمانُع) من اقوى ادلّة الكلاميين في هذا الباب دليل معروف بِدَليل التمانُع .

_ دليل التمانُع ماذا يقصدون منه ؟ باعتبار الآن نحن نريد ان نُثبِت وحدانية الباري وفقا للمذاق الكلامي , وفقا للبراهين الكلامية :

_ دليل التمانُع ماذا ؟

دليل التمانُع يكون منشأ الإفتراض فيه وجود إلهَيْن في الكون أو أكثر _ لكن الدليل يبدأ من إلهَيْن _ البحث في إلهَيْن _ هو إذا ثبتَ وجود إلهَيْن , ثبتَ الاكثر , و إذا نفَيْنا وجود إلهين و اثبَتنا وجود إله واحد نفَيْنا الاكثر حينئذ .

_ الإله الثاني , يقولون : يُمكنه _ هل يمكن انّه تكون له إرادة ان يكون ذلك الجسم ساكنا في نفس الوقت الذي ذلك الإله الاول يريد أنّ ذلك الجسم يكون مُتحَرِّكا ؟ الإله الثاني , يقولون : يمكن أن تكون له إرادة او لا يمكن ؟

_ احتمالان هنا : إمّا يمكن و إمّا لا يمكن .

_ الإله الأول : أراد أن يوجِدَ جسما مُتحرّك .

_ الإله الثاني : ماذا يريد ؟ هنا نأتي البحث في مسألة دائرة الإمكان _ يمكن للإله الثاني ان يريد في نفس الوقت ذلك الجسم ان يكون ساكنا او لا يمكن ان يريد ؟ يعني ليس له القدرة ان يريد , لا يمكن لا يتمكن من إرادة السكون في ذلك الجسم , او يمكن ؟ على الإحتمالَيْن نأتي .

_ إن قُلنا يمكن له ان يريد السكون في ذلك الجسم فالنتيجة هكذا _ النتيجة هكذا : إمّا أن يكون الجسم حينئذ . باعتبار وجود إرادة الإلهين . ساكنا و مُتحركا في آنٍ واحد _ و هذا غير ممكن !

هذا اجتماع مُتنافيات _ لَمّا أقول في آنْ واحد يعني : في حال الحال _ لا يعني مثلا الآن تحرَّكَ ثم سكَن هذا لا يُقال له : في آنٍ واحد _ هذا في آنَيْن _ مقصودي في آنٍ واحد يعني _ في وقت ما يتحرّك في وقت ما هو ساكن _ لا يمكن هذا , هذا اجتماع مسائل مُتنافية , إذا قُلنا الإله الاول ارادَ الجسم مُتحركا و الثاني يمكنُه _ يتمكن _ إله _ بالنتيجة الإله قادر على كل شيء و ليس هناك إرادة فوق إرادَته _ هو هذا المراد من الإله _ يمكنه حينئذ , الآن نقول يمكن للباري ؟ نعم يمكن للباري ان يعدمَنا _ يمكن للباري ان يُغَيِّرخلقَنا ؟ نعم يمكن للباري ان يُغيِّر خَلقنا , بالنتيجة إله قادر على كل شيء و في كل آن و في كل حال .

_ الإله الثاني : يمكن أن يريد سكون الجسم في نفس الوقت الذي يريد الإله الاول حركة الجسم ؟ نعم يمكن باعتبار هو إله _ لِمَ لا يمكن _ فإذا قُلنا يمكن _ فالنتيجة هكذا :

_ الإله الأول : يُريده مُتحرك .

_ و الإله الثاني : يُريده ساكن .

فَحينئذ النتيجة هكذا :

_ إمّا أن تقَع إرادة الإلهَيْن و تتحقّق فيَكون الجسم مُتحركا و ساكنا في آن واحد _ متحركا وساكنا في آن واحد و هذا اجتماع مُتنافيات _ و لو ارَدنا ان نقول تَجتمع المُتنافيات فَهذا يؤدي إلى _

فساد النظام الكَوني _ و الحال نحن لا نرى فسادا في النظام الكوني _ حتى لو يأتي مَن يقول يمكن ان تجتمع باعتبار إرادة الإلهَيْن , بالنتيجة هذا إذا حدَث , ان تجتمع الحركة و السكون , هي مُتنافية , لا يجتمعان لكن لو حدثَ هذا فَهذا يؤدي إلى _ فساد النظام الكوني _ اختلال في النظام الكوني _ و الحال في النظام الكوني الاجسام إمّا مُتحركة و إمّا ساكنة , النظام الكوني نظام محسوس نراهُ بأعيُننا , نَحسُّه , نعيش فيه , الاجسام إمّا ساكنة , إمّا متحرّكة , ما توجد اجسام في نفس الآن تتحرَّك و تَسكُن , هذا الإحتمال الاول .

علماء الكلام بِدَليل التمانُع _ هذا هو الذي يسميه علماء الكلام بدليل التمانع _ و هذا الدليل يمكن ان نقول هو شرح للآية : (لو كانَ فيهما آلهةٌ إلاّ الله لَفَسَدتا) يعني هذا الدليل , دليل التمانُع الكلامي يمكن ان نقول هو شرحٌ للآية القرآنية (لو كانَ فيهما آلهةٌ إلاّ الله لَفَسَدتا) دليل آخر يذكره الكلاميون _ هذا من أوثق الأدلة العقلية التي يذكرها الكلاميون في هذا الباب و التي يستَدلّون بها على وحدانية الباري .

بِدون الانبياء يَتيهون , فلا بد لَهم من مُرشِد , فَقطعا من حكمة هذا الصانع , من تدبير هذا الصانع ان يبعث الانبياء , و هؤلاء الانبياء يَشهدون طُراً , يُقِرّون طُراً , يُقيمون الادلّة طُراً , يَدعون الناس طُراً إلى أي مسألة ؟ إلى مسألة وحدانية الباري _ هذا الدليل بِهذا الشكل لا يُستَشكل عليه لكن البعض قد اثارَ عليه إشكالا .

_ أمّا إذا لم نُقَرِّر الدليل بِهذا التقرير و انطلَقنا من مسألة واجب الوجوب الواحد _ إشكال الفلاسفة يَرِد على الدليل لأنّه لا بد ان تَثبُت الوحدانية و بعد ذلك الانبياء نؤمن بهم ثم يقولون لنا , أمّا وفقا للتقرير الذي ذكَرتُه و الذي يذهب إليه الكلاميون فَهذا الإشكال لا يَرِد حينئذ .

تقريبا إلى هنا هذه اهَم الادلّة التي استدَلَّ بها الكلاميون في هذا الباب _ الدليل الأول و هو اقوى الادلّة و واقعا هو جوهَر ادلَّتهم الدليل الاول و الذي سَمَّوه _ بِدَليل التمانُع _ و الذي شرَحتُه لكم .

ملاحظة :

(1) الافضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الاخطاء المطبعية .

(2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلة من الوجه الاول و الثاني للكاسيت فَيُرجى مُراعاة ذلك

(و نسألُكم الدعاء لِتَعجيل الفرَج)